وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الأبعاد الفلسفية في شعر أبي العلاء المعري

بحث أنجزته الطالبة

زينب عبيد جابر

الى مجلس قسم اللغة العربية جزءاً من متطلبات

شهادة البكلوريوس في اللغة العربية وادابها

اشراف

أ.م.د ناهضة ستار

١٤٣٨هـ ٢٠١٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة فاطر اية (١٩-٢٠)

الاهداء

الى

كل معاق صاحب إرادة في الحياة وعزم على

المواجهة وإيمان بالتواصل

الى

كل انسان.

لكل من يبتسم وهو يتمزق وجعاً

لِمن يستيقظ ولا يجد أحداً معه

لِمن تبرأ من طفولتهِ لأجل الايام

لمن انهكهُ احتضار الالم

اليهم والى الطفل عباس اهدي جهدي البسيط هذا

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	(أ- ب)
التمهيد	(١)
اولاً: المعري ونشأته وثقافتهُ ثانياً: الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً	(٢-٩)
المبحث الاول	(١٠ – ١٩)
منابع فلسفته أ) راي بعض الكتاب والادباء في فلسفته ب) مصادر الفلسفة عند ابن العلاء المعري	(١١-١٩)
المبحث الثاني	(٢٠ - ٢٧)
المؤثرات المهيمنة في اغتراب المعري ١- العمى	(٢١-٢٣)
٢- الرحلات	(٢٣-٢٤)
٣- الاعتزال	(٢٥-٢٧)
نتائج البحث	(٢٨)
قائمة المصادر	(٢٩-٣٠)

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ..

وبعد :~

لطالما شغلت فكري لفظة فلسفة وكم سمعت من الفاظ فلسفية ومن امثال ذلك هل البيضة من الدجاجة ام الدجاجة من البيضة وشاءت الاقدار أن اكتب في بحث محتواه فلسفي فكان بحثي بعنوان (الابعاد الفلسفية في شعر أبي العلاء المعري) مما وافق اهتمامي الجمع بين الفلسفة والشخصية الفذة لشخصية ابي العلاء المعري فوجدت فيها شخصية ذات تركيبة جامعة بين المتناقضات و بين التفاؤل تارة والتشاؤم تارة اخرى. فوجدته مبدعاً غاية الابداع في التصوير والتجسيد وكأنه اشد بصراً من المبصرين فأبدع في هذا المجال وله في ذلك شواهد كثيرة فالمتتبع لشعره ان لم يكن يعرف علته واشك ولو لوهلة

انه لا يرى الاشياء ولا يستطيع وصفها فكان يتقن الوصف بعين القلبِ.

فكان ادبياً وشاعراً فذاً يتميز بشاعريته متفردة يصف الاشياء من خلال ما يعتبر القلب من احاسيس داخلية ولا يخلو شعره من نظرة تشاؤمية فهو حبيس العمى حدد حركته وحدا بهِ الى الضجر من سقم الحياة فنور العينين مهم للولوج في حياة صعبة كحياة البداوة التي كان يعيشها ولكن مما يثير الاهتمام أنه ورغم التشاؤم في شعره إلا أنه لا يخلو من ومضات التفاؤل حيث قد يعد مواساة للنفس وكأنه يسعى في هذه الحياة طبقا لقول الشاعر :

أعلل النفس بالآمال ارقبَها ما اضيق العيش لو لا فسحة الأمل

فطبقاً لما تقدم فهو حالة خاصة متفردة ادباً وشعراً ونثراً وأحاول جهد امكاني الاحاطة بهذهِ الشخصية وفق خطة بحث قسمتها على التمهيد ومبحثين اما التمهيد فجاء بعنوان نبذة عن حياته وسيرته.

والمبحث الاول فقد جاء بعنوان (منابع فلسفتهِ) أما المبحث الثاني فكان بعنوان (أهم المؤثرات في اغتراب ابي العلاء) وقد ذكرت في التمهيد ما مر به الشاعر من حزن واسى وفرح وتفاؤل على مدى حياته الممتدة من(٣٦٣ هـ – ٤٤٩ هـ) فلا يخفى أن الفرق بين ولادته ووفاته تشير انه قد تجاوز الثمانين ونيف من عمره وهذه السنوات الطويلة لابد ان يكون قد مر بمصاعب وماسي وافراح واحزان طيلة مدة عمره. حاولت جهد امكاني الالمام بأهم الاحداث التي مرت بحياته وعرجت في المبحث الاول على اراء بعض الكتاب فيه ومما أثار الاهتمام تذبذبهم في اتخاذ رأي حوله من هم من قال انه ليس له من الفلسفة شيئاً فلو كان فيلسوفاً لكان له كتاب كما فعل أرسطو ومنهم من غير رأيه بعد أن كان لا يعده من الفلاسفة فعده فيلسوفاً في عصره مثل ميخائيل مسعود في كتاب ادباء الفلاسفة اما المبحث الثاني فحاولت فيه الالمام بصنفين من الغربة عانهما المعري وهما الغربة الداخلية والخارجية. ولا يخفى على القارئ ان الغربة الداخلية اكثر واشد تأثيراً من الخارجية كونه حبيس العمى فحاسة البصر تلقي بظلالها على باقي الحواس فتحد من قدرات الشخص فتجعله غريباً غربة ذاتيه كأنه غريب عن نفسه لا يعلم ماهي وما هدفه في الحياة وما تسعى اليه فيضن القارئ للوهلة الاولى انه متشاءم غاية التشاؤم الا انه في الحقيقة كان لا يغادر التفاؤل فكان مبدعاً في المزاوجة بين التشاؤم والتفاؤل في كل ابداعاته. أما الخارجية كانت اقل وطأة من الداخلية لان الناس المحيطين به يحاولون جهد امكانهم تخفيف وطأتها عنه من خلال مساعدته على التعرف على الناس والأشياء. ومن اهم المصادر والمراجع التي استعملت في البحث و منها (وفيات الاعيان) وتاريخ آداب العرب لمصطفى الرافعي واللزوميات لأبي العلاء وعشرات المصادر والمراجع.

ولا يفوتني في نهاية المطاف ان اتقدم بالشكر والعرفان الى أ.م.د. ناهضة ستار عبيد استاذتي المشرفة التي ما بخلت عليه بنصيحةٍ أو إرشاد.

(التمهيد)

اولاً : المعري نشأته وثقافتهُ

ثانياً : الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً

اولاً : المعري نشأته وثقافتهُ

اسمه وكنيته ولقبه:

اما اسمه . أحمد بن عبد الله بن سليمان ابو العلاء التنوخي(١) ، المعروف بالمعري نسبة الى بلدهِ ومعرة النعمان وأما أسمه هذا فقد كرهه لأنه رأى أن من النفاق والكذب اشتقاق اسمه من الحمد إذ ينبغي ان يشتق من الذم من مثل قولهِ:

وأحمد سماني كبيري وقلما فعلتُ سوى ما أستحقُ به الذّما(٢)

واما كنيته ؛ فقد كني بأبي العلاء، لأنه من عادة الأباء في ذلك العصر ان يكنّوا أبناءهم

وقت تسميتهم ولكن أبا العلاء كره هذهِ الكنية ايضاً، ورأى ان من الظلم ان يضاف إلى التصعيد والعلوّ

وانما العدل ان يضاف الى السقوط والهبوط ، كقوله:

دعيت أبا العلاء وذلك مَينُ ولكن الصحيحَ أبو النُّزول(٣)

وأما اللقب الذي اختاره لنفسه وأحبه كثيراً فهو "رهين المحبسين" وقد لقب نفسه بهذا اللقب بعد رجوعهِ من بغداد واعتزاله الناس، و اراد بالمحبسين منزله الذي احتجب فيه ، وذهاب بصرهِ الذي منعه من مشاهدة الاشياء(٤) وأضاف اليهما سجنا ثالثا وخاصة بعد نضوج افكاره الفلسفية،وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث على نحو ماجاء في شعره الذي يقول فيه:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيثِ
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفسِ في الجسد الخبيثِ(٥)

١ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ابو الحسن القفطي/اشراف طه حسين القاهرة،دار الكتب المصرية،١٩٤٤م.ص٢٧.
٢ لزوم مالايلزم/ابو العلاء المعري/بيروت/دار حادر ودار بيروت،١٩٦١..٤١٦/٢.
٣ نفسه
٤ تعريفات القدماء بابي العلاء/ابن الجوزي/ص١٤٣.
٥ لزوم مالايلزم/ابو العلاء المعري/١٤٩/١.

مولده ونشأته.

ولد ابو العلاء المعري يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة[١] وقد ولد احمد مبصرا كما يولد سائر البشر لكنه ابتلي بصدمة فادحة، قبل ان تستقيم خطوته الصغيرة على درب الحياة ،"اذ اعتل في سنة الرابعة الجدري[٢] فما قام منها الا بعد ان شوهت وجهه بندوب وحفر ما برئٍ منها، ذهبت بنور بصره .فأسدلت بينه وبين الدنيا حجابا كثيفا لا امل في خلعه حتى اخر رمق في حياتهِ، ونتيجة هذه الافة التي هاجمته صغيرا، لم يعرف من الالوان الا اللون الاحمر. لأنه ألبس ثوباً أحمر وقت اعتلالهِ مرض الجدري اذ كان يقول" لا أعرف من الالوان الا اللون الاحمر، لأني البست في مرض الجدري ثوبا مصبوغا بالعُصُفر فانا لا اعقل غير ذلك وكل ما اذكره من الالوان في شعري ونثري انما هو تقليد الغير واستعارة منه[٣] ،ولكننا مع ذلك نراه حامداً ربه، جامعاً روح الطرفة والظرافة في لسانهِ حيث قال "انا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، وقد صنع لي وأحسنَ بي اذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء"[٤] .

اما نشأته. فكانت في بيت صغير من بيوتات معرة النعمان هذا البيت الذي عرف بالعلم والفضل والأدب، فجده سليمان بن احمد قاضي المعرة كان اديبا وشاعرا وكذلك كان ابوه عبد الله وعمه كانوا كلهم ادباء وشعراء تولوا امور القضاء في مدينتهم[٥] تتلمذ ابو العلاء في بداية عمره على يد ابيه الذي قاده الى عالم يمنحه نور البصيرة ويكشف له عن افاق الوجود المغلق امام بصره فقرا القران على ائمة شيوخ القراءات وسمع الحديث من ابيه، وعلى جماعة من اصحاب ابن

---

١ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ابو الحسن القفطي/ص٢٩.
٢ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ياقوت الحموي/٦٧.
٣ نفسه/٣٠
٤ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ابن العديم/٤٥
٥ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ياقوت الحموي/٤٨

خالويه فظهر من تفوق نجابته وفطنتهِ ما جعل والده يمضي به الى حلب إذ تلقى النحو على امام العربية في في حلب محمد بن عبد الله بن سعد النحوي[١]

شخصيته:~

كان ابو العلاء عملة نادرة وأعجوبة من نوادر وأعاجيب الزمن لما منح من ذكاء متوقد وحافظة عجيبة، وروح ساخرة، وثقافة واسعة ، وشعور ملتهب، وعقل نفاذ يغوص في اعماق الاعماق[٢] فكف البصر لم يمنعه من ان يهب نفسه للعلم، ورغبته الطامحة في الانطلاق الى افاق اوسع، جعلته ذا شخصية فذة طموحة قادرة على خلق المعجزات مما جعله يرحل الى بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمئة للهجرة[٣] طالبا للعلم وفنونه ولكن مقامه في بغداد لم يدم طويلا اذ رجع الى مسقط رأسه (المعرة) وقد غزا الالم والطبع السوداوي نفسيته وقلبه اذ اصبح لا يرى بعدها في الوجود إلا الشر والسوء والتشاؤم والحسرة والألم والحزن لما اصاب بلاده وأهلها من انحراف وفساد. هذا كله الى جانب جسم نحيل وقامة قصيرة ووجه مجدور وعصب مسعور[٤] وحكى العباسي عن ابن غريب الايادي انه دخل مع عمه ابي العلاء يزوره فوجده قاعدا على سجادة لبد، وهو شيخ فانٍ قال: فدعالي ومسح على راسي، فقال: وكأني انظر اليه الساعة، والى عينيه، احداهما نادرة. والأخرى غائرة جدا. وهو مجدور الوجه نحيف الجسم[٥]

١ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ابن العديم/ص١١
٢ الجامع في تاريخ الادب العربي/حنا الفاخوري.بيروت.دار الجليل ص/٤٢
٣ تعريفات القدماء بابي العلاء/ابو الحسن القفطي/٢٨
٤ تعريفات القدماء بابي العلاء/ابو الفتح العباسي/٤٥
٥ تاريخ الادب العربي العصر العباسي(٢)/طه حسين.ط١.بيروت دار العلم.١٩٧٤/٣/٤٠

أخلاقه:

عرف ابو العلاء برقة قلبه وشدة رحمته، وكثرة عطفه على الضعيف ولو قرأت ما في اللزوميات من محاورات للديك والحمامة ورثائه الشاه والنحل. وبكائه الناقة والفصيل لقدرت ما كان له من رقة القلب احسن تقديرا[١] ويذكر انه حين اعتل ابو العلاء وصف له احد الاطباء لحم الدجاج الا انه امتنع عن تناوله ولكنه بعد الحاح شديد اظهر بعض الرضا فلما قدم اليه لمسه بيده فجزع وقال" استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد[٢] اذ بلغه مرة ان شاعرا يلقب بصريع البين ضاقت به الحال فمنحه قدرا من ماله واتبعه بقصيدة يقول فيها:[٣]

قد استحييت منك فلا تكلني الى شيء سوى عذرٍ جميل

وقد انفذت ماحقي عليه قبيح الهجو أو شتم الرسولِ

وذاك على انفرادك قوت يوم اذا انفقت انفاق البخيل

فان يكُ ما بعثت به قليلا فلي حال اقل من القليل[٤]

ان من يقرا الابيات السابقة يجد ان ابا العلاء مستح من (صريع البين) لأنه كان يتمنى ان يمنحه المزيد من المال ولكن عسر الحال وسوء وضعه المادي حال دون ذلك وهذا ان دل على شئ فانما يدل على كرمه وسخائه اللامتناهي وحبه لمساعدة الاخرين لسد رمقهم وجوعهم كما عرف بحيائه الشديد بحيث اعتبر بعضهم هذا الحياء فطرة فطر عليها وكان شديد التواضع قليل الاعتداد بنفسه شديد الازدراء لها[٥] وعرف بصبره وجلده وكان جبارا قادرا على تحمل ما لا يحتمله البشر يقول:~

---

١ كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان.نقلا عن ابو العباس ابن خلكان.تحقيق احسان عباس.بيروت.دار الثقافة ١٢٧/١-١٢٨.

٢ تعريفات القدماء بابي العلاء/ياقوت الحموي/٦٧.

٣ ابو العلاء المعري/احمد تيمور/ص٧٨

٤ شرح سقط الزند/ابو العلاء المعري/رضا بيروت.دار مكتبة الحياة.١٩٨٧،ص١٣٩

٥ تاريخ اداب العرب/مصطفى الرفاعي/٢٠ ومابعدها.

اجاهد بالظهارة حين أشتو وذاك جهاد مثلي والرباط

مضى كانون ما استعملت فيه حميم الماء فاقدم يا شباط [١]

ثقافته وسعة ذكائه:

لم يقنع المعري في نهله العلوم من الشام بل راح ينهلها من بغداد حيث وجد فيها ماكان يعلم به فقال" وجدت العلم ببغداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة" [٢] .اذ كان معجبا ببغداد كل الاعجاب لأنه تمكن فيها من التوسع والتبحر في العلوم العربية والنحو والحديث وهذا ما جعله ينتصب للتدريس والعطاء الادبي فبرز نجمه وصار قبلة لكل طالب علم.

اثاره الادبية:

تتبع الذهبي وغيره اثار ابي العلاء المعري وما قدمه خلال عمره الطويل وإبان عزلته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.. كتاب الفصول والغايات،، وكتاب اقليد الغايات في اللغة وكتاب خطبة الفصيح كتاب لزوم مالا يلزم. كتاب زجر النابح، وكتاب راحة اللزوم. في شرح كتاب لزوم ما لا يلزم وسقط الزند.ورسالة الصاهل والشاهج وكتاب الزهد.والامالي اما المطبوع المتداول فلا يتجاوز ثمانية كتب ليس بعضها تاما كاللزوميات والفصول والغايات[٣]

وفاته:

مات المعري يوم الجمعة ربيع سنة (٤٤٩هـ) في غداة غد ودفن في المعرة في ساحة دار صغيرة وأوصى ان يكتب على قبره:

هذا ما جناه ابي علي وما جنيت على احدٍ[٤]

---

١ اللزوميات/ابو العلاء المعري/١٠١/٢

٢ رسائل ابو العلاء المعري/شرح شاهين عطية،بيروت،دار القاموس الحديث.ص٧٤

٣ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري لابن العديم/ص٥٤

٤ تعريفات القدماء بابي العلاء المعري/ابو عبد الله الذهبي/ص١٠٠

ثانياً : الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً

الاغتراب في اللغة:

في اللغة العربية نقول "غرب" اي ذهب وتنحى من الناس و"التغرب" يعني البعد والغربة والغرب يعني النزوح عن الوطن والغريب هو البعيد عن وطنه[١]

وكلمة اغتراب هي مترجمة للكلمة الانكليزية Alination والكلمة الفرنسيةAliention المشتقات من الاصل اليونانيAlienation والتي تشير الى انتقال ملكية شئ ما الى اخر او انتزاعه او ازالته وتستمد كلمةAliention من العقلAlienns بمعنى الانتماء الى سخر اخر[٢]

الاغتراب اصطلاحا:

لاقى مفهوم الاغتراب الكثير من الاهتمام لمحاولة ضبطه ونظرا لتعقد هذا المفهوم تعدد وجهاته وابعاده من جهة ولارتباطه الوثيق بجذوره الفلسفية التي يعد استخدامه بعيدا عنها امرا مستجد نسبيا.

ويعتبر هيجل ان الاغتراب يعني انفصال الذات الانسانية ككيان روحي تنفصل عن وجوده ككائن اجتماعي كما اعتبره ايضا في اخر تنازل الانسان عن استقلاله الذاتي وتوحده مع الجوهر الاجتماعي ان توضيف مصطلح اغتراب بهذين المعنيين اقرب الى الفلسفة منه الى الاختصاص العلمي.كما استخدم مصطلح الاغتراب بمعنى ادبي فقد ذهب البعض من المفكرين الى ان الاغتراب اصل في الانسان منذ نزول اول بشرين "ادم وزوجه حواء" الى الارض حيث ابتعدا عن الجنة[٣] وبعد دخول الاستخدام العلمي عرف الاغتراب على انه اضطراب نفسي يعبر عن اغتراب

---

١ جمال الدين ابن منظور،مكارم الانصاري.لسان العرب.مجلد١ط١.دار صبح لبنان ٣٢/١٩٦٨

٢ دراسات في سيكولوجية الاغتراب.عبد اللطيف محمد خليفة/٢٣/

٣ نفسه/ ٢١/

الذات عن هويتها وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع وهو غربة عن النفس وغربة عن البشر[١] وتوضح هورني ان

انواع الاغتراب:

١-الاغتراب الثقافي/ويشار به الى الابتعاد عن الفرد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه وثقافة المجتمع تتألف من العادات والتقاليد والقيم الرائدة في ذلك المجتمع ومخالفة المعايير التي تضبط السلوك افراده حيث تجد الفرد يرفض هذه العناصر وينفر منها ولايلتزم بها ويفضل كل ماهو غريب واجنبي عنها(٢)

٢-الاغتراب الاجتماعي/يتمثل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الاخرين والبرود الاجتماعي اي ضعيف الروابط مع الاخرين وقلة او ضعف الاحساس بالمودة والالفة الاجتماعية معهم وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الانسان في افتقاد دائم للدفئ العاطفي[٣] هو اغتراب عن المجتمع ومغايرة معاييره والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي

٣-الاغتراب الاقتصادي/وهو مفهوم درج على يد كارل ماركس ويشير الى شعور العامل بانفصاله عن عمله على الرغم من وجوده كفرد كجسم في مقر عمله (المؤسسة) وذلك الاحساس بالانفصال يولده شعور بالعجز والملل والخوف من المستقبل حيث يقول محمد خضر ان الاغتراب الاقتصادي شعور العامل بانفصاله عن عمله بالرغم من وجود جسمه داخل المنظمة والشعور بالعجز والملل والرثابة في اداء عمله وكذلك شعوره بالاحباط والخوف من المستقبل وان المادة هي الغاية في الحياة وليست الوسيلة[٤]

---

١ الاغتراب وعلاقته بالامن النفسي/١٠/

٢ لسان العرب/جمال الدين ابن منظور/مجلد١/ط١/دار صبح لبنان ١٩٦٨

٣ دراسات في سيكولوجية الاغتراب/عبد اللطيف محمد خليفة/٢٣/

٤ نفسه/٢١/

الاغتراب الديني/تكلمت كل الاديان عن الاغتراب الديني فيما معناه الانفصال والابتعاد عن الذات الالهية وفي الاسلام يأخذ الاغتراب المفهوم ذاته حيث يعنى به الابتعاد عن الله والاغتراب الديني هو مايسميه علماء النفس بالحاجات الروحية حيث ان هذه الحاجات تدفع الانسان عن الله وعن اله يعضمه ويقدسه ويرتبط به ويلجا اليه

الاغتراب النفسي/اختلف الباحثين في اعطاء تعريف للاغتراب النفسي كل حسب وجهة نظره فمنهم من يرى بأنه حالة نفسية يشعر الانسان من خلالها بانفصاله عن الاخرين وعدم الانسجام معهم وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يؤدي الى الانعزال.ويرى وايت ان الاغتراب النفسي هو اغتراب عن الذات ايضا حيث يرتبط ارتباطا موجبا بالاغتراب عن الجميع ومنهم من يذهب الى ان الاغتراب غربة عن الذات[١]

١ دراسات في سيكولوجية الاغتراب/٢٤

(المبحث الاول)

منابع فلسفته

فـي هـذا المبحـث نتنـاول اهـم اراء الادبـاء والكتـاب فـي فلسـلفته وتـأثيره بالفلسـفة اليونانية والاعتزال والعمى.

الفلسفة:-

ان جزء كبير من النقاش الدائر حول الفلسفة بين الشرق والغرب يتعلق بالتعريف اي بتعريف الفلسفة والتعريفات التي قدمت الفلسفة يمكن ان تكون كتابا بأكمله ذلك لاختلاف الفلاسفة في فهم ماهيتها ووظيفتها في تاريخ طويل منذ النشأة حتى الان.

١-تعريف الفلسفة حسب وليم جيمس:

الفلسـفة تتكـون مـن لفظتـين او كلمتـين يونـانيتين همـا(فيلو) و(سـوفيا) وتعنيـان حـب الحكمة.ويلاحظ جيمس ملاحظتين عن الاصل اللغوي للكلمة.

اولا/ يجب ان نعرف كما بين كثيرون من الفلاسفة الاقدمين إلا انه حبك للشئ لايعني بالضرورة ان تمتلكه،الحب هنا ينبغي ان يفهم بمعنى يتضمن الرغبة فيه اذ كون المرء فيلسوفا يتضمن انه يسعى الى الحكمة وليس بالضرورة ان يستحوذ عليها.

ثانيـا/ ان الحكمة هنا تستعمل كلفظة جامعة تشمل كل بحث فكري دؤوب في اي مجال من المجالات وتشمل الاخلاقية فهما ممارسة ورغبة وغرس كل متنير من الاراء والاتجاهات يهدي الى حياة مفعمة بالسعادة والرضا[١] .

الفلسفة حسب تعريف هنثرميد:

هي محاولة دقيقة منظمة لربط بين الكون والحياة على محتوى مغزاه وكما قال شخص ما ان هدف الفلسفة وذلك لغرض مزدوج هو ارضاء عقولنا في سعيها لاشباع حب استطلاعها وقلوبنا في سعيها الى اخفاء اكبر قدر من الدلالة القيمة والمعنى والجدول على الحياة البشرية[١]

١ وليم جيمس ايرل/مدخل الى الفلسفة/ت.عادل مصطفى/المجلس الثقافي الاعلى/القاهرة(ط١) ١٤٠١٣/٢٠٠٥

اما افلاطون/هي البحث عن حقائق الاشياء او الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المبدع الاول ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم.

اما الكندي/الفلسفة هي علم الاشياء بحقائقها وهذه الحقائق كلية لان الفلسفة لا تطلب معرفة الجزيئات لانها غير متناهية واللامتناهية لا يحيط به العلم والفلسفة من حيث كذا شرف على جميع العلوم الانسانية،ولكن الشرف الاعلى يبين تعريف علم الفلسفة الفلسفة الاولى[٢]

الفارابي/الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة.

ابن سينا/الحكمة استكمال النفس الانسانية تصور الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الانسانية.

ابن رشد/الفلسفة هي النظر في الموجودات من جهة دلالتها على الصانع.

تعريف اخوان الصفا:

الفلسفة اولها محبة العلوم وأوسطها معرفة الحقائق او حقائق الموجودات بحسب الطاقة البشرية واخرها القول والعمل بما يوافق العلم.

ديكارت/الفلسفة هي العلم العام لجميع العلوم وهي معرفة الكائن الجديد بالكينونة.

هيجل/الفلسفة معرفة الحقائق الثابتة.

الفلسفة تبحث عن العالم في مسائل عديدة الوحدة الكثره الانسان وتعاريف الفلسفة على كثرتها واختلافها تكاد تتفق في شئ واحد هو نتيجتها العملية فبلغة الفلسفة يتصف الانسان بالحكمة التي لولاها لانهارت كل القيم الانسانية وزال الفرق بين الخير والشر والسعادة والشقاء[٣] .

---

١ هنثرميد/الفلسفة انواعها ومشاكلها/ترجمة فؤاد زكريا/دار النهضة مصر/القاهرة يناير ١٩٦٩/١/

٢ اميره حلمي مطر/دراسات في الفلسفة اليونانية (التأمل-الزمان-الوعي الجمالي) دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٠،(١٨٨)

٣ نفسه.

٣–تعريف براتراند رسل للفلسفة.

سئل براتراند رسل عن تعريف الفلسفة فأجاب:

انه هذا السؤال مثير للجدل والخلاف ولااظن انك تجد اثنين من الفلاسفة يعطيانك اجابة واحدة،اما الفلسفة من وجهة نظري فهي/مجموعة من التساؤلات والتأملات حول موضوعات لانعرفها بالضبط الا على سبيل الاحتمال وتلك الوحيده[١] .

٤– تعريف الفلسفة حسب د. افراح لطفي عبد الله .

الفلسفة: فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الافكار[٢] .

عرف سقراط الفلسفة: هي البحث العقلي عن حقائق الاشياء لمعرفة السبيل الى الخير وانها تبحث عن الكائنات الطبيعية وجمالها ونظامها ومبادئها وعلتها[٣] .

١ براتراند رسل/حكمة الغرب(ج١) ترجمة فؤاد زكريا.سلسلة علم المعرفة-الكويت فبراير ٩/١٩٨٣/

٢ د.افراح لطفي عبد الله/الفلسفة فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الافكار.دار الفارابي ط١،٢٠١٢.بيروت لبنان

٣ عبد المنعم الحنفي/الموسوعة الفلسفية/دار الفكر.بيروت.٥٠/١٩٩

أ-رأي بعض الكتاب والأدباء في فلسفته:

لقد اطلق بعضهم لقب فيلسوف على من درس العلوم الطبيعية والرياضية والإلهية والخلقية وأحسن دراستها ومن جعل حياته النظرية مطابقة لحياته العلمية[١] .واذا كان الفيلسوف كذلك فابو العلاء احق بهذه التسمية فهو الوحيد بين اقرانه الذي درس العلوم الالهية والعلوم الطبيعية والعلوم الخلقية درسا طويلا عميقا متقنا اذ عايش النتائج والأهداف بالممارسة اليومية الفعلية.فكان صادقا مع نفسه لانه نظر في الحياة والبشر[٢] .وإذا كانت الفلسفة تعني البحث عن الحقيقة النظرية غير الخاضعة للهوى فان ابا العلاء جدير ايضا بلقب الفيلسوف لأنه كان يسعى جاهدا في سبيل تكوين رأي معقول عن الحياة والكون مستبعدا عن اهوائه الشخصية ناصبا لنفسه ميزانا جعله اماما له في الحياة وقد سماه العقل[٣] حيث يقول كذب الظن لا امام سوى العقل مثيرا في صبحه والمساء[٤].

وهذا ما اكده د.اليازجي قائلا:ان ابا العلاء فيلسوف علما او علما لأنه بحث عن حقائق هذا العالم فكانت حياته موافقة لنتائج بحثه فهو يقدم العمل الفاضل على القول الحسن ولا يرى معنى للصلاة معنى النفاق ولا للصوم مع الكذب ولا للحج مع العدوان[٥].

واذا كان الفريق السابق يرى ان ابا العلاء قد طابق بين قوله وفعله فان فريقا اخر يرى عكس ذلك اذ عد متناقضا فأكثر من الشواهد والبراهين والأدلة التي تؤكد على عدم التلاؤم والتطابق بين قوله وفعله ومنهم الاستاذ الخولي الذي رأى "ان المعري لم يسر في

---

١ الجامع في اخبار ابي العلاء المعري واثاره/محمد سليم الجندي/٤٤/٣

٢ ادباء الفلاسفة/ميخائيل مسعود/ص٣٩

٣ كتاب المعري في فكره وسخريته/عدنان عبد علي/٧٥

٤ ابو العلاء المعري/لزوم مالايلزم/٦٦/١

٥ اعلام الفلاسفة العربية/كمال اليازجي/ط٣/بيروت.دار المكشوف ١٥/١٩٦٨

حياتـه وفـق تفكيـره فـلا تعـرف لـه نتيجـة ثابتـة لـم يخالفهـا ولـم يقـرر غيرهـا اذ بقـي فعلـه لا يسـتند الـى شـيء مـن قولـه[١] يؤكـد الاسـتاذ ميخائيـل مسـعود الـذي يقـول "لـيس لفلسـفة ابـي العـلاء طـرق ولا منهـاج محـددة فالـذي يقـول بهـذه الفلسـفة يحتـاج الـى ادلـة وبـراهين لنفيهـا. فـنحن لا نملـك الكتـاب الفلسـفي الـذي الفـه ابـو العـلاء ولا نملـك حتـى ملخصـا لفلسـفته علـى نحو ما صنعه الفارابي وغيره من جماعة الفلسفة[٢] .

ولعلنـا نأخـذ علـى الاسـتاذ ميخائيـل مأخـذا لأنـه سـرعان مـا ينـاقض نفسـه حـين رأى ان مـن الضـروري تسـمية المعـري بالفيلسـوف وخاصـة بعـد ان انكـب علـى لزومياتـه متعمقـا ومتفصـحا كـل شـاردة وواردة فيهـا فوجـدها قـد احاطـت بالقضـايا الفلسـفية الالهيـة منهـا والطبيعيـة والرياضـية وحتـى العمليـة ورأى مافيهـا مـن شـمول واتسـاع وأراء ومواقـف فلسـفية عميقـة الجـذور[٣] ومهمـا يكـن او كـان مـن اخـتلاف وتبـاين فـي الاراء حـول فلسـفة ابـي العـلاء إلا ان امـرا عظيمـا بـدا جليـا فيمـا بيـنهم وهـو اتفـاق اكثـرهم علـى ان المعـري مفكـر عظـيم وباحـث فـذ عـن الحقيقـة النظريـة والمجـردة عـن الاهـواء والنـوازع فهـو ان لـم يكـن فيلسوفا فهو شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء[٤] .

---

١ جماعة الكتاب/امين الخولي/١٩٤٥/٤٥ ومابعدها
٢ كتاب ادباء الفلاسفة/ميخائيل مسعود/(٤٥-٥٥)
٣ تاريخ الادب العربي/حنا الفاخوري/١٠٠/٢
٤ نفسه ٤٠/٢

ان المعري من المفكرين الكبار الذين ذهبوا في قضايا الانسان والمصير والماورائيات متعمقين ومتوسعين فيها كما انه عاد بحصيلة من الآراء خليقة لان تحتل مكانتها العالية في مضمار الفلسفة الكونية[١] .

كما انه ينضج بنضج بصيرته امتلك الشعر كأداة للتعبير وللانعتاق من سجن الظلمة العميقة مبرزا قدرته على التفاعل وعلى حيويته ويقظته في مواجهة المشكلة فأبدع فيها شاعرا ومفكرا وفيلسوفا[٢] وفيما تم ذكره سابقا فاننا نرى انه مهما حاول بعض الباحثين اقصاء ابي العلاء عن الفلسفة او اقصاء الفلسفة عنه فان المسائل التي الم بها في لزومياته من الفلسفة الطبيعية والالهية والعلمية والرياضية جديرة لادحاض حجتهم علما اننا لاننكر بعض المأخذ على المعري "من مثل الحيرة والتردد وعدم اتباعه الاسلوب العلمي الذي يشمل احكام البناء واتساق الترتيب[٣]

مصادر الفلسفة عند ابي العلاء المعري:

علل الاستاذ مارون عبود سبب ترك المعري الزواج انه كان سبب تأثيره بالفلاسفة اليونان وخاصة (ابيقور) الذي يرى ان الصداقة نافعة والحكيم يتعهدها كوسيلة سعادة ولكنه يتجنب الحب لأنه اضطراب نفسي كذلك لا يتزوج الحكيم في الاكثر لما يجده الزواج من شواغل متعددة[٤] وهذا يعني من وجهة نظره ان ابا العلاء كابيقور يرفض الزواج لأنه يرى في الزواج ما يشغله عن اموره .

١ تاريخ الادب العربي/جورج غريب.ط٣.بيروت.دار الثقافة ١٩٧٨/٢٥٧
٢ معاقون لكن عظماء/وديع خليل/بيروت.دار العربية للعلوم/٩٤
٣ العصر العباسي/جورج غريب.ط٣.بيروت دار الثقافة٦٣
٤ زوبعة الدهور/عبود مارون/ص١١٤

واما قضية النسل فقد عد الدكتور عمر فروخ النسل من وجهة نظر ابي العلاء جناية يرجع اصلها الى مذهب مزدك الفارسي او غيره من مذهب الزهاد الهنود[١] فالدنيا من وجهة نظره دار زائلة وعلى العقلاء فيها ألا يبكوا على الذين يغيبون عنها لان مصائبها كثيرة ولا تحصى اذ تنال من ابنائها بالسيوف والرماح والسهام الصائبة كقوله:

دنياك دار ان يكن شهادها عقلاء لايبكوا على غيابها

قد اظهرت نوبا تزيد على الحصى عددا ولحم خبتها وعيابها

تغريهم بسيوفها وتكبهم برواحها وتنالهم بصيابها

ما لظافرون بعزها ويسارها الا قريبوا الحال من خيالها [٢]

لان الموت هو السيف الباتر الذي لاصليل له كقوله:

وسيف المنية امضى السيوف وماسمعت منه اذن صليلا[٣]

فالحياة في نظر المعري غير جديرة بان يحياها الانسان او ان يوجد منها مادامت تحوي الشرور والعذاب فهي في صميمها كتلة من الشرور والإثم والألم فأحزانها وأفراحها سواء كقوله:

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد[٤]

وهكذا كان ابو العلاء مستخفا بالحياة ساخرا مما يبذله ابناؤها من ماء الوجه ودم القلب من اجل اباطيلها وهو يؤثر عليها الموت والعدم فالحياة عناء موصول بعذاب ولادة يتلوها الموت هي سفرة شاقة تبدأ بالولادة وتنتهي.

---

١ ينظر حكيم المعرة/عمر فروخ/ص٤٧

٢ ابو العلاء/لزوم مالايلزم/١٧٢/١

٣ نفسه ٣١٢/٢

٤ سقط الزند شرح الديوان/لابو العلاء المعري/١١١

بالاحتضار في ذلك يقول:

ارسلت غربك تبغي الماء مجتهدا وماعلى الغرب لما خانك المرسل

وبأس ما يأمل الجانون من ثمر ان قال عارف غرس:بئس ماغرسوا[١]

ويقول ايضا:

أيعلم الليث لما راح مفترسا بأنه عن قريب سوف يفترس[٢]

ومع ذلك فالناس لايعتبرون ولايتعضون ابدا فالعاقل في رأيه يجب ألا ياسف على الحياة بل يتمناها توصلا الى راحة حقيقية وأبدية حيث يقول:

سنقضي وقتنا بغنى وعدم وننفق لفضنا همسا ونبرا[٣]

كأنا في بحار من خطوب وليس يرى لها الراؤون عبرا

لان الدنيا دار حافلة بالنحوس والهموم ملأى بالاكدار والأمراض مكتظة بالرزايا والمصائب من مثل قوله:

فوردت الى دار المصائب مجبرا وأصبحت فيها ليس يعجبني النقل

اعاني شرورا لاقوام بمثلها وأدناس طبع لايهذبه الصقل[٤]

لذلك نراه مؤثرا الموت على الحياة عادا اياه المخلص والمحرر للآلام والمصائب حتى انه يوحينا بالترحيب بالموت والتسهيل به قائلا:

اهلا بغائلة الردى وإيابها كيما سترني بفضل ثيابها[٥]

---

١ ابو العلاء/لزوم مالايلزم/٢٠/٢

٢ نفسه ١٢/٢

٣ نفسه ٢٤/١

٤ لزوم مالايلزم/ابو العلاء المعري ٤٠/٢

٥ لزوم مالايلزم/ابو العلاء ٢٥/١

فالملك والحطاب عنده سيان وكذلك الخطير والحقير والعزيز والذليل على نحو مانرى في قوله:

هو الموت مثر عنده مثل مقتر وقاصد نهج مثل اخر ناكب

ودرع الفتى في حكمه درع غادة وأبيات كسرى من بيوت العناكب[١]

كانت نظرته الى الزواج جناية وشرا لأنه يزج في تلك الدار بأحياء جديدة كانت في نعمة العدم لذلك فقد كره الزواج لان الاهل عنده جناة والأولاد ضحية.

فإذا كان بعض الدارسين يرى ان الزواج رابطة تقوم على الاستقرار والثبات[٢]

فان ابا العلاء كان يرى فيه تغذية مثمرة لعملية الموت وعلى المرء ان يتوقف عن بهذه المائدة البشرية طواعية ومحبة[٣]

دع النسل! ان النسل عقباه متيه ويهجر طيب الراح خوفا من السكر[٤]

او كما يقال بلغة الفلاسفة "ان الانسان يشرع في الموت بمجرد مايولد وهذه الفترة المحدودة التي يحياها انما هي المدة التي تستغرقها عملية وفاته[٥] .

١ لزوم مالايلزم/ابو العلاء المعري ٢٥/١
٢ مشكلة الانسان/زكريا ابراهيم/ط١/م١
٣ قضايا في الادب العربي/عبد القادر زيدان (٦٥-٦٦)
٤ لزوم مالايلزم/ابو العلاء ٢٠/١
٥ مشكلة الانسان/ابراهيم زكريا/١١٨

المبحث الثاني

المؤثرات في اغتراب المعري

١. العمى

٢. الرحلات

٣. والاعتزال

في هذا المبحث سنتناول اهم المؤثرات المهيمنة في تشكيل صفة الاغتراب عند المعري تبين وجود ثلاث العمى والرحلات والاعتزال وهي على النحو الاتي:

١-الاغتراب الذاتي:

- العمى:

لعل مسيرة حياة المعري يجسد روح اغترابه بكل دلالاته فقد اصيب بالجدري وهو في الثالثة من عمره فأحس بألم داخلي شديد زاد منه فقده لبصره في السنة الرابعة[١] ولا مراء في ان حياة هذا الطفل الاعمى والمريض كانت مدعاة لاغتراب ذي توتر عال لاسيما حين كان يترك وحيدا في زاوية البيت.وما ان عوفي حتى وجدته يقبل على انتهاب المعارف والعلوم والفقه والفنون واللغة والنحو ولاسيما انه سليل اسرة علم وأدب ورياسة وعلما انه تمتع بذكاء عجيب وفطنة عظيمة منذ وقت مبكر[٢] اذ قال الشعر وعمره (١١)سنة وتميز بحافظة شديدة وفراسة صادقة.

فغربة العمى ماكانت لتجعله منقطعا عن العالم الخارجي وكان قد فتح عينيه عليه في سنواته الاولى دون ان يدرك شيئا كثيرا عنه..لكن عماه المبكر كان سببا في نشوب اغتراب نفسي عاطفي اضطرابي ومثير ادى به الى الحيرة اذ كان يقول (العمى عورة والواجب استشاره في احواله) فكان يقول (انا احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر)[٣] فهو لم يخف من العمى بل اقر به بمثل مااقر بان الناس قد عميت بصيرتهم فقال[٤] .

اذا مر اعمى فارحموه وايقنوا وان لم تكفوا ان كلكم اعمى

١ ابو العلاء المعري..حكيم المعرة-د.يوسف محمود.مجلة شبكة جامعة عجمان.مج١٧-عدد١-٢٠٠٩-ص٧٠-وانظر تجديد ذكرى ابي العلاء ١١٩-١٦١

٢ انظر بغية الوعاء ١٢٦-٤٥١

٣ معجم الادباء ١٢٩/٣-١٣٠

٤ لزوم مالايلزم/٤١/١

ولعل عماه وسوء سلوك الناس معه كانا الاصل في عزلته واغترابه فهو يشعر ان الطبيعة قد سجنته حين فقد نظره ومن ثم فرض على نفسه سجنا اخر بالانعزال او الاعتزال ساخطا الناس اذ كان يقول[١] .

خير لعمري واهدى من امامهم عكاز اعمى هدته اذ غدا السبلا

ان المسن وقد لاقى اذى وشذا يود لو رد غص العيش مقتبلا

واذا كان العمى قد تجذر حقيقة كبرى في حياته ونمط تفكيره فانه رأى فيه عنصرا ايجابيا ليثبت انه كان يتفوق على اي واحد منهم متحديا اياهم اولهم وآخرهم فيقول[٢] .

واني وان كنت الاخير زمانه لأت بما لم تستطعه الاوائل

وأغدو ولو ان الصباح صوارم واسري ولو ان الظلام جحافل

فهو لايثنيه شئ عن طلب مايحاوله فهو ثابت لايخشى مكائد العدو ومن ثم حاول ان يعنى بالصورة البصرية ومايفعل هذا إلا تأكيدا لإثبات تفوقه على المبصرين وكان يستر وجهه المجدور عن الناس ويستشعر الاسى من عينيه لذلك كان يرى في الاعتزال شفاء له من سخرية الناس فقال[٣] .

بعدي عن الناس برء من سقامهم وقربهم للجحى والدين ادواء

فالمعري يستشعر قوة خاصة ما يجعله يتجاوز عقدة العمى التي سقط فيها اعتمادا على عقله الذي جعله دليلا هاديا وسبيلا للتفكر وان اوصله الى الحيرة والشك احيانا كما يعترف بقوله..

---

١ لزوم مالايلزم ١٤/٢

٢ لزوم مالايلزم ٤٠/١

٣ لزوم مالايلزم ٤٨/١ والانصاف والتحري ١٩،وتعريف القدماء بابي العلاء ١٢٢-١٣١

حيث قال[1]

سألت عقلي فلم يخبر وقلت له: سل الرجال فما افنوا ولاعرفوا

قالوا فمالوا فلما ان حدوتهم الى القياس ابانوا العجز واعترفوا

لذلك فان عماه لم يمنعه من البحث عن المعرفة والرحلة في طلبها وان شكلت هي الاخرى نسقا من الاغتراب الذاتي.

٢-الرحلات:-

يتمثل الاغتراب الذاتي بوضوح في رحلاته خارج المعرة ومنها رحلته المبكرة للمرة الاولى عن معرة النعمان وانتقاله منها الى حلب ليزداد علما وفقها على يد علمائها وشيوخها فقرأ القران على جماعة منهم بمثل ماسمع الحديث وان كانت جدته ام سلمة بنت الحسن بن اسحق معلمته الاولى في الحديث فالغربة هنا عدت اغترابا ذاتيا عن المكان والزمان والمجتمع ايا كانت العلاقات التي تربطه بأخواله بني سبيكة الذين كانوا يسكنون حلب ولاسيما حين اخذت رحلة النضج العقلي لدى الفتى الشغوف تكتمل ولذا رغب في الحصول على مزيد من المعارف فكانت الغربة الذاتية الاخرى ممثلة بالرحلة الثانية الى بغداد(٣٩٩) وفيها عرف كتب دار العلم.والتقى رجالات بغداد وشيوخها وبخاصة الشريفين (المرتضى والرضي)[2] .

وشرع يحس بأنه يعاني اغترابا مركبا في الزمان والمكان والمجتمع ومن ثم اغترابا نفسيا ثقافيا وقد زاد اغترابه النفسي شدة في الكآبة والحسرة ماتناهى اليه عن مرض والدته (سنة ٤٠٠) فعزم امره على العودة الى معرة النعمان ولكنه وصل اليها بعد ان وافتها المنية دون ان يراها فثقل عليه ذلك فازدادت.

---

١ لزوم مالايلزم ١٥٣/٢

٢ انظر معجم الادباء ١٢٣/١-١٢٤-وتجديد ذكرى ابي العلاء ١٦١ ونثر ابي العلاء ٢٣

غربته وظهر ذلك في مرثيته[١]

سمعت نعيها صمي صمام وان قالوا العواذل لاهمام

وامتني الى الاجداث ام يعز علي ان سارت امامي

واكبر ان يرثيها لساني بلفظ سالك طرق الطعام

كأن نواجدي رديت بصخر ولم يمرر بهن سوى كلامي

فالصراع النفسي تجاه فراق والدته احدث في ذاته غربة موحشة زادت غربته المكانية حيث يقول[٢] .

اثارني عنكم امران:والدة لم القها وثراء عاد مسفوتا

فالمعري لزم (معرة النعمان) لايبرحها كما لايبرح حرف (الواو) فعل (وعد) اذ قال [٣]

اذا غدوت عن الاوطان مرتحلا فضاه في البين حذف الواو من يعد

كانت فبانت وما حنت الى وطن وعاد غاد الى وكر ولم تعد

ولعل المتأمل في الصورة الشعرية السابقة يدرك ان غرابة اغتراب المعري في مفهومه للبعد عن الوطن لايقل غرابة عن ولعه بالنحو واللغة ومضاهاة افتراقه للمعرة بمضاهاة فراق حرف (الواو) لفعل (وعد) حين يصاب بالاعلال...واذا كان الاعلال يطول في الفعل فان غيابه عن المعرة مؤقت.

١ شرح سقط الزند ٤٦/١.وانظر ابداع ونقد ١٢٧-١٢٩

٢ شروح سقط الزند ١١٤/١.وانظر كتاب الانصاف والتحري ١٣-١٧-وتعريفات القدماء ١٧،٣٨،٤٠

٣ لزوم مالايلزم ٥٤/١

٣-الاعتزال

يبقى اغتراب الاعتزال ابعد اثرا في ذاته سلوكا وفكرا وأدبا فقد فرض على نفسه عزلة صارمة حين عكف في بيته ولم يفارقه إلا للضرورة الملحة مثل لقاء حاكم حلب صالح بن مرادس ليشفع لأهل المعرة وكان له ذلك وعبر عنه في قوله:-

تغيبت في منزلي برهة[١] ستير العيوب فقيد الجسد

فلما مضى العمر إلا الاقل وحم لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعا الى صالح وذاك من القوم رأي فسد

فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الاسد

فلا يعجبنني هذا النفاق فكم نفقت معنة ماكسد

كانت عزلته المكانية والزمانية والاجتماعية اغترابا نفسيا يحاول ان يأمن فيها المعري على عقله وسلوكه الصادق في قوم كثر فيهم النفاق والكذب والغش فاغترابه نابع من انفصاله عن عالمه الاجتماعي بما شاع فيه من عادات وأساليب ملتوية تتحكم بحياة الناس وتؤثر في نفوسهم ولهذا حرص على اعتزال اي انسان منحرف في سلوكه ودعا اليه كل عاقل اذ قال[٢] .

اذا انفرد الفتى امنت عليه دنيايا ليس يؤمنها الخلاط

فلا كذب يقال ولانميم ولاغلط يخاف ولاغلاط

وكم نهض امرؤ من بين قوم وفي هاديه من خزي علاط

١ انظر لزوم مالايلزم ٢/٤٠.والانصاف والتحري ١٣-١٥ ونثر ابي العلاء المعري ٣٩-٤٠

٢ لزوم مالايلزم ٢/١٠٠

ولذا كانت عزلته للعامة والخاصة نتيجة لأسباب كثيرة ذاتية واجتماعية وثقافية معرفية ما يعني انه عاش حالة اغترابية لأنه كان يشعر بعدم قدرته على مجاراة ما يجري في مجتمعه فقال معبرا عن ذلك بألم وحرقة[١] .

يقول لك انعم مصبحا متودد اليك وخير منه اغلب اصبح

رجوت بقرب من خليلك مرحبا وبعدك منه في الحقائق اربح

اذا انت لم تهرب من الانس فاعترف بطلس تعاوى او ثعالب تصبح

ومارس بحسن الصبر بلواك ان هم اتوا بقبيح فالذي جئت اقبح

ولعل حياته الاولى التي اصيب فيها بالجدري فلزم البيت منزويا وهو يستمع الى احاديث النسوة بكل صفوفها دون ان يأبهن للمريض الذي كان اصل اغترابه موقفه من المرأة اذ كان يختزن في ذاكرته تلك الاحاديث لهذا كان يقول[٢] .

اذا بلغ الوليد لديك عشرة فلا يدخل في الحرم الوليد

فان خالفتني وأضعت نصحي فانت وان رزقت ححى بليد

الا ان النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التليد

ومن ثم فلا عجب بعد هذا كله يقلع عن الزواج فيقول:

تواصل حبك النسل ما بين ادم وبيني ولم يوصل بلا مي باء[٣] .

ولا عجب بعد ذلك كله ينصح الرجال بالابتعاد عن النساء والزواج بهن فيقول[٤] .

---

١ انظر لزوم مالايلزم ٢٠٠/١

٢ لزوم مالايلزم/٨٤/١

٣ لزوم مالايلزم ٥٠/١

٤ لزوم مالايلزم ٩٠/١

اشدد يديك بما اقو ل فقول بعض الناس در

لاتدنون من النسا ء فان غب الاري مر

والباء مثل الباء يخ فض للدناءة او تجر

فالمرأة تجر الرجل الى ما لا يريد وتنزل مكانته كما يفعل حرف الجار بالاسم

وترك اكل اللحم وما ينتجه الحيوان حتى قيل هجر اللحم خمسا واربعين سنة الى ان مات اجتهادا في التعبد[١] .

فكان يقول اذ فرضت عليه رؤيته الغريبة تحريم اكل لحوم الحيوان بل ان ماتنتجه تلك الحيوانات انما هو حق ابنائها وليس للانسان حق فيه...فيقول[٢] .

غدَوتَ مريضَ العقلِ والدّينِ فالقَني	لتسمعَ أنباءَ الأمورِ الصحائحِ
فلا تأكُلّن ما أخرجَ الماء، ظالماً،	ولا تبغِ قوتاً من غريض الذّبائحِ
وأبيَضَ أمّاتٍ، أرادتْ صريحَه	لأطفالها، دون الغواني الصّرائح
ولا تفجَعَنّ الطّيرَ، وهيَ غوافلٌ،	بما وضعتْ، فالظّلمُ شرُّ القبائح
ودعْ ضرَبَ النّحل، الذي بكَرت له،	كواسِبَ منْ أزهارِ نبتٍ فوائح
فما أحرزَته كي يكونَ لغيرِها،	ولا جمَعَتْهُ للنّدى والمنائح
مسحْتُ يدي من كلّ هذا، فليتني	أبَهْتُ لشأني، قبل شيب المسائح

فهو يستجيب لفطرته ورؤيته في مقاربة حياتية بريئة من كل ايذاء الخلق فالإمتاع الفني لايستند فقط الى فلسفة الاغتراب التي تستفز العقل وإنما يستمد مقارباته الفلسفية والجمالية ايضا من المراوغة في التصوير المشرق لكراهية سلوك البشر نحو تلك المخلوقات وما تقوم عليه حياتها فما يسعد البشر يحزنها ويترك في نفسها الاسى والشجن مما احس به المعري فهو يصدر عن دقة حس ورؤية فلسفية لاستشعار ضعف بعض الحيوانات.

١ انظر الانصاف والتحري ٧،ومعجم الادباء ١٢٥/١-١٢٦-وتعريف القدماء ١٧،٣١،١٢٥

٢ لزوم مالايلزم ٢٩٥/١

نتائج البحث:-

وبعد هذا السفر الشيق الذي لا يخلو من المتعة النفسية والرغبة في طوله مع شخصية متفردة مثل شخصية المعري وصلت الى نهاية المطاف فما من البداية الاولها نهاية كنت لاارغبها ولكن للضرورة احكام فهذا الرجل على كل مافيه من علات مميز بين ادباء وشعراء عصره رشيق العبارة لطيف الوصف متشائم في موطن التشاؤم ومتفائل في موطن التفاؤل ومن اهم ما توصلت اليه من نتائج حول فلسفته وشعره:

١-انه كان رقيق القلب مع من يستحقها من فقراء القوم وبسطائهم ويغلظ على الامراء ورجال الدين فلطالما يدخل في صراعات معهم

٢-ماكان يعتقده الادباء عنده من تشاؤم هو قد يعد وصفا لذاته الحزين الذي يحاول جهد امكانه التكيف مع العوائق الذاتية والاجتماعية مما حدا بهم الى اعتباره متفائلا في مواطن كثيرة وهذا يعضد قولنا انه يجمع ما بين التفاؤل والتشاؤم في ان واحد

٣-ابدع المعري في ثنائية الموت والحياة في شعره والمعروف ان العمى هو فقدان حاسة من الحواس اي بمعنى موت تلك الحاسة حاسة البصر. فعدها بداية الموت التدريجية للجسد فلطالما شغلت فكرة قضية الموت مما اثار نظرة التشاؤم تجاهه من قبل الاخرين ولكنه في الوقت ذاته حاول جهد امكانه التفاؤل الحذر تجاه حياة تصعب للأعمى كونه مقيدا بالعمى وكأنه يتمثل بقول امير المؤمنين عليه السلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا)

٤-لوحظ على شعر المعري انه كان غزلي غاية في التغزل بالأشياء مثل النجوم والكواكب مما يعبر عن شغفه وعطشه الى رؤية تلك النجوم وإمعان النظر بها فكان يصفها كأنها رآها مجسدة امامها ومن كل ما تقدم يتضح ان هذا الشاعر كان عماه نعمة له كونه ناضل للتغلب على تلك الصفة فأبدع وتألق بين اقرانه من الشعراء غير انهم كانوا يختلفون عنه بأنهم كانوا يتمتعون نعمة البصر ومما يعضد هذا الرأي قوله (احمد الله على العمى كما تحمدوه انتم على نعمة البصر) دليل على رضاه بقدره وتكيفه معه وان كل ما يظن حوله من نظرة تشاؤمية تكاد تكون هي وصف مغاير كما يعتمر قلبه من تفاؤل ورضا وقناعة.

واخيرا وليس اخرا الحمد لله على ما وفق والصلاة والسلام على نبيه محمد واله الطيبين الطاهرين

المصادر

١) الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي ، دار بيروت للطباعة ، ط١ ، ١٩٤٤ .

٢) افراح لطفي عبد الله ، الفلسفة فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الافكار ، دار الفارابي ، ط١ ، ٢٠١٢ .

٣) تاريخ آداب العرب ، مصطفى الرفاعي ، ط٢ ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٤م.

٤) تاريخ الادب العربي ، طه حسين ، العصر العباسي ٢، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٥) تعريف القدماء ، بابي العلاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

٦) جماعة الكتاب ، امين الخولي ، دار بيروت ، ١٩٨٠ .

٧) جورج غريب ، العصر العباسي ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٨) حكمة الغرب ، برتراند رسل ، (ج١) ، ترجمة فؤاد زكريا ، سلسلة علم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٣ .

٩) حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الادب العربي ، بيروت ، دار الجبل .

١٠) دراسات في الفلسفة اليونانية ، التأمل ، الزمان ، الوعي الجمالي ، اميرة حلمي مطر، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٠.

١١) دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، عبد اللطيف محمد خليفة ، دار بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .

١٢) رجعة ابي العلاء المعري ، عباس محمود العقاد ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧م.

١٣) رجل الغرب والشرق ، ابو القاسم محمد ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٦ .

١٤) رسائل ابي العلاء المعري ، شرح شاهين عطية ، دار القاموس ، بيروت.

١٥) زوبعة الدهور ، عبود مارون ، دار بيروت ، ١٩٨٠ .

١٦) شرح سقط الزند ، المؤلف التبريزي والبطليوسي والخوارزمي ، المحقق مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد اللام هارون وابراهيم الايباري وحامد عبد المجيد، دار النشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٤٨هـ ١٨٨٧م .

١٧) عمر فروخ حكيم ، المعرة ، منشورات ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٨) الفلسفة وأنواعها ومشكلاتها ، هنثرميد ، ترجمة فؤاد زكريا ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩.
١٩) قضايا في الادب العربي ، عبد القادر زيدان ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٦١ .
٢٠) كتاب الانصاف والتحري في دفع الظلم ، ابي العلاء المعري ، لابن العديم ، (٥٥٨-٦٦٠).
٢١) كمال اليازجي ، اعلام الفلاسفة العربية ، ط٣ ، دار بيروت ، ١٩٦٨ .
٢٢) اللزوميات ، لابي العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ، (٢٦٣-٤٤٩) ، برواية الامام التبريزي مجلد١ ، تقديم وشح وفهرسة ، د. وحيد كبابة ، حسن محمد ، الناشر دار الكتاب العربي.
٢٣) لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، مجلد١ ، ط١ ، دار صبح ، لبنان ، ١٩٦٨ .
٢٤) مدخل الى الفلسفة ، وليم جيمس ايرل ، ت:عادل مصطفى ، المجلس الثقافي الاعلى ، القاهرة ، (ط١) .
٢٥) مشكلة الانسان ، زكريا ابراهيم ، الناشر مكتبة مصر للمطبوعات ، القاهرة .
٢٦) معاقون لكن عظماء ، وديع خليل ، ط١ ، دار العربية للعلوم ، بيروت .
٢٧) معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المأمون مكتبة عيسى البابلي الحلبي ، مصر .
٢٨) المعري في فكره وفلسفته ، عدنان عبد العلي ، دار بيروت ، ١٩٨٧ .
٢٩) المفصل في تاريخ الادب العربي ، احمد الاسكندري ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
٣٠) الموسوعة الفلسفية ، عبد المنعم الحنفي ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠.
٣١) ميخائيل مسعود ، ادباء الفلسفة ، دار بيروت للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
٣٢) نثر ابي العلاء المعري ، دراسة فنية ، تأليف صلاح رزق ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
٣٣) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان ، ابو العباس ابن خلكان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، ج١ ، بيروت.